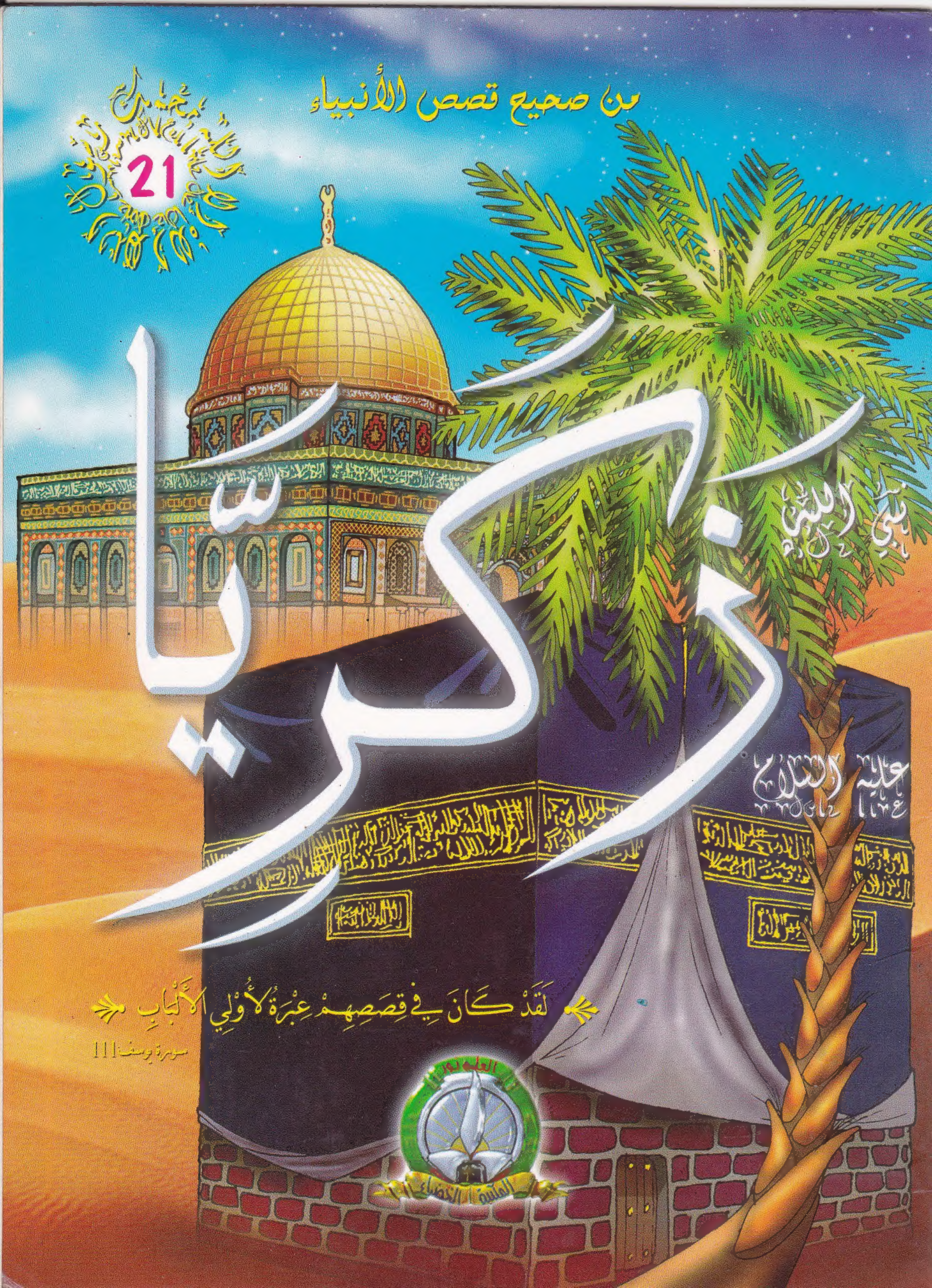

من صحيح قصص الأنبياء
21
زكريا
نبي الله
عليه السلام
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ
سورة يوسف:111

من صحيح قصص الأنبياء

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ سورة يوسف 111

نَبِيُّ اللَّهِ

زَكَرِيَّا

عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعداد: قندوزي كمال

مراجعة علمية: مشري عمر – مراجعة لغوية: ساعد العلوي

الطبعة الرابعة

كل الحقوق محفوظة

المكتبة الخضراء

للطباعة والنشر والتوزيع

1أ طريق الزواوة الشراقة الجزائر

الإيداع القانوني: 2007-3565

ردم ك: 978-9961-25-016-7

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾

(سورة آل عمران، الآية 38)

قَتْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لأَنْبِيَائِهِمْ

بَعَثَ اللهُ الأَنْبِيَاءَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلَّمَا مَاتَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ آخَرُ لِيَقُومَ بِوَعْظِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ حَتَّى لَا يَقَعُوا فِيمَا يُسْخِطُ اللهَ، وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً لَا يَسْمَعُونَ لِلنُّصْحِ وَلَا لِلتَّوْجِيهِ، وَسُلُوكُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ أَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ أَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي شَهَوَاتِهِمُ الْمُحَرَّمَةِ وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِذَلِكَ كَثُرَ فِيهِمْ قَتْلُ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ. وَكَانَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَّا وَابْنُهُ يَحْيَى عليهما السلام، فَهَذَا حَالُ الْيَهُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الصَّالِحِينَ وَيَنْفُرُونَ مِنْهُمْ، وَيُحِبُّونَ الأَشْرَارَ وَيَتَّخِذُونَهُمْ قُدْوَةً، لِذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ لَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، أَمَّا كَيْفَ قَتَلُوا نَبِيَّ اللهِ زَكَرِيَّا فَإِنَّنَا سَنَذْكُرُ قِصَّتَهُ لِمَا فِيهَا مِنْ عِبَرٍ لِلْمُعْتَبِرِينَ.

زَكَرِيَّا نَبِيٌّ وَنَجَّارٌ وَمُعَلِّمٌ

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْتَغِلُ بِالنِّجَارَةِ، وَيَصْنَعُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ خَزَائِنَ وَرُفُوفٍ وَأَلْوَاحٍ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ سَهَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْحِرْفَةَ الَّتِي كَانَ يَتَقَوَّتُ مِنْهَا، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا اللَّهِ مُخْلِصًا فِي عِبَادَتِهِ، مُتَفَانِيًا فِي طَاعَتِهِ، وَمُجْتَنِبًا مَعَاصِيَهُ، بَلْ إِنَّ مَنْزِلَتَهُ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَيَعِظُهُمْ وَيَنْصَحُهُمْ، وَهُمْ يُحِبُّونَهُ وَيَسْتَمِعُونَ لِكَلَامِهِ، وَمَسْئُولِيَّتُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَسْؤُولِيَّاتِ، وَهَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْ مَهَامِّ الْأَنْبِيَاءِ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيُعَلِّمُوهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَمَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَبَيَّنُوهُ لَهُمْ لِيَفْعَلُوهُ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَحَذَّرُوهُمْ مِنْهُ لِيَجْتَنِبُوهُ.

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ؛ يُفْهِمُ النَّاسَ وَيُعَلِّمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ؛ فَكُلُّ مَا فِيهِ طَاعَةٌ يُحِبُّهَا اللَّهُ بَيَّنَهَا لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِهَا، وَكُلُّ مَا فِيهِ مَعْصِيَةٌ يَكْرَهُهَا اللَّهُ بَيَّنَهَا

لَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنْهَا. وَكَانُوا يَبْعَثُونَ بِأَبْنَائِهِمْ إِلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ لِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ الْعِلْمَ، وَيَأْخُذُوا عَنْهُ الْأَدَبَ وَالْأَخْلَاقَ.

كَفَالَةُ زَكَرِيَّا لِمَرْيَمَ

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَبْعَثُوا بِأَبْنَائِهِمْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمُّ مَرْيَمَ: "حِنَّةُ"، فَإِنَّهَا لَمَّا وَلَدَتْ ابْنَتَهَا مَرْيَمَ، وَتُوُفِّيَ زَوْجُهَا "عِمْرَانُ"، أَحَبَّتْ أَنْ تَجْعَلَ ابْنَتَهَا خَادِمَةً لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَكْفُلُهَا إِلَّا رَجُلٌ كَرِيمٌ وَعَفِيفٌ، هُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا الرَّجُلُ مَا هُوَ إِلَّا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَقْرَبُ إِلَى "حِنَّةَ"، فَإِنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ أُخْتُهَا.

وَلَمَّا بَعَثَتْ بِابْنَتِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَآهَا عُبَّادُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحَبُّوا أَنْ يَكْفُلُوهَا، وَأَحَبَّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْكَافِلَ لَهَا، فَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَنْ هُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِكَفَالَتِهَا، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى إِجْرَاءِ الْقُرْعَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ فَمَنْ رَسَتِ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِكَفَالَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا؛ جَاءُوا بِأَقْلَامِهِمْ وَطَرَحُوهَا فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ جَاءُوا بِغُلَامٍ صَغِيرٍ لِيَأْخُذَ قَلَمًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْلَامِ، فَمَنْ خَرَجَ قَلَمُهُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ اسْمُهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِتَرْبِيَتِهَا، أَخَذَ الْغُلَامُ قَلَمَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ

يَرْضَ هَؤُلَاءِ الْعُبَّادُ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ وَقَالُوا: لِنَقْتَرِعْ مَرَّةً أُخْرَى وَلْنَرْمِ بِالأَقْلَامِ فِي النَّهْرِ؛ فَمَنْ كَانَ قَلَمُهُ يَجْرِي عَكْسَ مَجْرَى النَّهْرِ فَهُوَ أَحَقُّ بِكَفَالَتِهَا، وَلَمَّا أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ إِذَا بِقَلَمِ زَكَرِيَّا عليه السلام يَجْرِي عَلَى خِلَافِ مَجْرَى الْمَاءِ، وَبَقِيَّةُ الأَقْلَامِ الأُخْرَى تَجْرِي مَعَ الْمَاءِ، فَلَمْ يَرْضَوْا أَيْضًا بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ، وَقَالُوا: لِنَقْتَرِعْ مَرَّةً ثَالِثَةً وَأَخِيرَةً؛ فَمَنْ كَانَ قَلَمُهُ يَجْرِي مَعَ الْمَاءِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا، فَلَمَّا رَمَوْا بِأَقْلَامِهِمْ جَرَتْ كُلُّهَا عَلَى عَكْسِ مَجْرَى الْمَاءِ مَا عَدَا قَلَمَ زَكَرِيَّا الَّذِي جَرَى بِاتِّجَاهِ جَرْيِ الْمَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتَارَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِكَفَالَةِ مَرْيَمَ لأَنَّهُ هُوَ الأَحَقُّ بِذَلِكَ، أَخَذَهَا إِلَى زَوْجَتِهِ الَّتِي هِيَ خَالَتُهَا، لأَنَّ الْخَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ، وَكَانَتْ مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ الْعَابِدَاتِ؛ نَشَأَتْ مَرْيَمُ عَلَى الطُّهْرِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمِ.

سُلُوكُ زَكَرِيَّا وَمَرْيَمَ

كَانَ وَقْتُ زَكَرِيَّا عليه السلام مُقَسَّمًا بَيْنَ عَمَلِهِ فِي النِّجَارَةِ لِيَكْسِبَ قُوتَ عَائِلَتِهِ، وَبَيْنَ الدُّرُوسِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا لِلنَّاسِ

فِي الْمَسْجِدِ فَيُذَكِّرُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ، وَبَيْنَ الْقِيَامِ بِأُسْرَتِهِ، وَمَا تَحْتَاجُهُ مِنْهُ، فَلِكُلِّ جَانِبٍ مِنْ حَيَاتِهِ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ فِي يَوْمِهِ الْمُنَظَّمِ، وَالأَنْبِيَاءُ هُمُ الْقُدْوَةُ فِي تَنْظِيمِ حَيَاتِهِمْ، وَالنَّاسُ تَتَأَسَّى بِهِمْ، وَتُرَاقِبُهُمْ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ.

لَمَّا كَبِرَتْ مَرْيَمُ جَعَلَ زَكَرِيَّا لَهَا بِالْمَسْجِدِ مَكَانًا تَعْبُدُ اللهَ فِيهِ، وَوَقْتُهَا مُقَسَّمٌ بَيْنَ تَطْهِيرِ الْمَسْجِدِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ بِتَنْظِيفِهِ وَتَطْيِيبِهِ، وَبَيْنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي جَعَلَهُ لَهَا زَكَرِيَّا، مُكْثِرَةً مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ.

دُعَاءُ زَكَرِيَّاءَ وَرِزْقُ مَرْيَمَ

كَانَ زَكَرِيَّا عليه السلام يَدْخُلُ عَلَيْهَا يَتَفَقَّدُ حَالَهَا، وَإِذَا بِهِ يَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقًا، فَيَعْجَبُ لِذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ؛ يَجِدُ فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ عِنْدَ أَيِّ إِنْسَانٍ، وَإِذَا حَلَّ الصَّيْفُ وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ. فَيَقُولُ لَهَا: ﴿يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [آل عمران، 37] فَتَقُولُ لَهُ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران، 37]، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ

الدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران، 38]. فَهُوَ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِينَ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ أَنَّ زَكَرِيَّا عليه السلام قَدْ كَبِرَ وَأَصْبَحَ شَيْخًا، رَأْسُهُ غَطَّاهُ الشَّيْبُ، وَأَصْبَحَ ضَعِيفًا، وَمَعَ أَنَّ زَوْجَتَهُ عَاقِرٌ لَا تَلِدُ إِلَّا أَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً، وَزَكَرِيَّا كَانَ كُلَّمَا دَعَا رَبَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ، قَالَ وَهُوَ يُخَاطِبُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم، 4] فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعَوِّدْ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا عليه السلام فِيمَا كَانَ يَسْأَلُهُ إِلَّا الإِجَابَةَ؛ فَالْعَبْدُ الطَّائِعُ لِرَبِّهِ الْمُسْتَجِيبُ لِأَوَامِرِهِ، الْمُجْتَنِبُ لِنَوَاهِيهِ، يَكُونُ اللَّهُ دَائِمًا مَعَهُ، مُلَبِّيًا لِنِدَائِهِ، سَامِعًا لِشَكَاوَاهُ، وَهَذَا لَيْسَ حَالَ زَكَرِيَّا عليه السلام فَقَطْ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ عَبْدٍ مُطِيعٍ، وَمَا جَعَلَ زَكَرِيَّا يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ بِوَلَدٍ صَالِحٍ يَخْلُفُهُ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ، هُوَ أَنَّهُ خَافَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَنْ يَكْفُرُوا بَعْدَهُ، فَيَبْتَعِدُونَ بِذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَعْصُونَ أَوَامِرَهُ، إِذْ يَخَافُ عَلَى قَوْمِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، فَهُوَ إِنْ كَانَ يَرْعَاهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ يَعْلَمُ أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى دِينٍ لِأَنَّ طَبْعَهُمْ غَلِيظٌ،

وَقُلُوبَهُمْ قَاسِيَةٌ، فَقَالَ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم، 5-6] أَيْ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُ وَلَدًا يَرِثُهُ فِي حُكْمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَمَا كَانَ أَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ.

تَبْشِيرُ زَكَرِيَّا بِالْوَلَدِ

اسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَاءِ عَبْدِهِ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا -زَاهِدًا فِي النِّسَاءِ- وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران، 39] ، فَالْبِشَارَةُ الأُولَى الَّتِي بُشِّرَ بِهَا زَكَرِيَّا عليه السلام هِيَ أَنَّهُ بَعْدَمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَاقِرًا أَصْبَحَتْ وَلُودًا، وَالْبِشَارَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ يَحْيَى مُصَدِّقٌ بِنَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عليه السلام الَّذِي هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا اللَّهُ إِلَى مَرْيَمَ أُمِّهِ، فَكَانَ يَحْيَى عليه السلام أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بِهِ، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ يَحْيَى سَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَمْ يَطْلُبْ زَكَرِيَّا إِلَّا وَلَدًا صَالِحًا يَرِثُهُ، وَلَكِنَّ كَرَمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا رَجَاهُ وَفَوْقَ مَا تَمَنَّاهُ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَفَضْلًا لِأَنَّهُ تَعَالَى أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

لَكِنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ لاَ يَتْرُكُ أَحَدًا إِلَّا وَوَسْوَسَ لَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ زَكَرِيَّا عليه السلام كَلامَ الْمَلائِكَةِ الَّتِي أَخْبَرَتْهُ بِالْبِشَارَةِ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الصَّوْتَ الَّذِي سَمِعْتَ إِنَّمَا هُوَ صَوْتُ الشَّيْطَانِ يَسْخَرُ مِنْكَ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ صَالِحٌ بَارٌّ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي سَمِعْتَ مِنَ اللَّهِ لأَوْحَاهُ إِلَيْكَ كَمَا يُوحِي إِلَيْكَ فِي بَاقِي الأُمُورِ، فَشَكَّ فِي ذَلِكَ: أَهَذَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ أَوْحَاهُ إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْمَلائِكَةِ أَمْ أَنَّهُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ؟ فَأَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ هَذَا الشَّكَّ بِالْيَقِينِ فَقَالَ مُخَاطِبًا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران، 40] فَقَالَ اللَّهُ مُطَمْئِنًا إِيَّاهُ: ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران، 40] لَقَدْ خَلَقَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا. وَأَرَادَ هَذَا الْعَبْدُ الطَّائِعُ نَبِيُّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عليه السلام أَنْ تَكُونَ لَهُ عَلامَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَيَرْزُقُهُ بِوَلَدٍ فَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ [مريم، 10] أَيِ اجْعَلْ لِي عَلامَةً عَلَى أَنَّكَ سَتَرْزُقُنِي بِوَلَدٍ مِنْ عِنْدِكَ كَمَا أَخْبَرْتَنِي بِذَلِكَ المَلائِكَةُ، وَذَلِكَ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ أَكْثَرَ، فَبَيَّنَ اللَّهُ لَهُ هَذِهِ الْعَلامَةَ فَقَالَ: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم، 10] فَالعَلامَةُ هِيَ أَنَّ

اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَحْبِسُ لِسَانَهُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ كَمَا كَانَ يُكَلِّمُهُمْ مِنْ قَبْلُ، رَغْمَ أَنَّهُ صَحِيحُ الْبَدَنِ، وَهَذَا لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَكَلَّمَهُمْ بِالإِشَارَةِ، لأَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ: ﴿أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم، 11]، أَمَّا هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ مَعَ قَوْمِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قَائِلاً: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران، 41] فَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنَ الْعِبَادِ، إِذَا رَزَقَهُمْ نِعَمًا، أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ.

مِيلادُ النَّبِيِّ يَحْيَى

وَلَمَّا وُلِدَ الْغُلامُ سَمَّاهُ أَبُوهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَسْمِيَتِهِ: يَحْيَى، وَفَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَحَبَّاهُ حُبًّا جَمًّا، فَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِمَا بَعْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَخَذَ يُعَلِّمُ ابْنَهُ الْعُلُومَ، وَكَانَ هَذَا الابْنُ نَشِيطًا سَرِيعَ الْفَهْمِ وَالْحِفْظِ، لِذَلِكَ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَهُوَ صَغِيرٌ؛ قَرَأَ التَّوْرَاةَ وَفَهِمَهَا وَهُوَ صَبِيٌّ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي يُعْطِيهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَكَانَ طَائِعًا لِرَبِّهِ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ مُخْلِصًا تَقِيًّا فِي عَمَلِهِ، لَمْ يَعْمَلْ مَعْصِيَةً قَطُّ فِي

حَياتِهِ مُنْذُ وِلادَتِهِ إِلَى وَفاتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشَّرِّ، وَلا مَيْلٌ إِلَى النِّسـاءِ كَما هُوَ الأَمْرُ عِنْدَ الرِّجـالِ، لِأَنَّهُ كانَ سَيِّدًا وَحَصُورًا. لَمَّا كَبِرَ يَحْيَى كـانَ مَعَ ابْنِ خالَتِهِ عِيسَى عليه السلام يَدْعُـوانِ قَوْمَهُما إِلَى الْخَيْرِ وَيَنْهَيانِهِمْ عَنِ الشَّرِّ.

وَكانَ زَكَرِيّا حَرِيصًا عَلَى تَرْبِيَةِ ابْنِهِ يَحْيَى أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، لِيُصْبِحَ هُوَ الآخَرُ قُدْوَةً يُقْتَدَى بِهِ، وَكانَ مُواظِبًا عَلَى أَوْقاتِهِ الَّتِي قَسَّمَها بَيْنَ عِبادَةِ رَبِّهِ سُبْحانَهُ وَحَمْدِهِ، وَاسْتِغْفارِهِ، وَبَيْنَ تَعْلِيمِ ابْنِهِ، لِأَنَّ تَعْلِيمَ الأَبْناءِ مِنْ أَكْبَرِ الْمَهَمّاتِ خاصَّةً عِنْدَ نَبِيِّ اللهِ زَكَرِيّا عليه السلام الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا مِثْلَهُ، وَبَيْنَ الْعَمَلِ الْيَدَوِيِّ الَّذِي هُوَ النِّجارَةُ لِيَقُوتَ نَفْسَهُ وَمَنْ يَعُولُ، أَمّا ذِكْرُ اللهِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَهَمّاتِ، وَزَكَرِيّا كانَ زَكِيَّ النَّفْسِ، طاهِرَ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ واظَبَ عَلَى الصِّلَةِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِرَبِّهِ سُبْحانَهُ مِنْ عِبـادَةٍ وَصَلاةٍ وَذِكْرٍ، فَالْقَلْبُ النَّقِيُّ كـالسَّمَكَةِ الَّتِي لا تَحْيا إِلَّا بِـالْماءِ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ لا يَكُونُ صالِحًا، وَلا يَزْكُو وَلا يَكُونُ حَيًّا إِلَّا إِذا كـانَ مَشْغُولًا بِذِكْرِ اللهِ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد، 28] وَزَكَرِيّا عليه السلام كانَ يُراقِبُ

ابْنَهُ فِي التَّعْلِيمِ، مِنْ حِفْظٍ، وَمُراجَعَةٍ، ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ هَذا الْعِلْمُ الَّذِي يُلَقِّنُهُ لِابْنِهِ أَتَى بِثِمارِهِ أَمْ لا، لِأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمْرَةً، وَثَمْرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ، وَالتَّأَدُّبُ وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِهِ، فَإِذا كانَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَلا يُطَبِّقُهُ فَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي تَعَلَّمَهُ يَكُونُ عَلَيْهِ لا لَهُ، وَلَكِنَّ يَحْيَى عليه السلام قَدِ اسْتَفادَ مِمّا كانَ يَأْخُذُهُ عَلَى أَبِيهِ، فَازْدادَ بِذَلِكَ أَدَبًا وَأَخْلاقًا وَفَضْلًا. حَتَّى أَصْبَحَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي حُسْنِ أَخْلاقِهِ، وَرَفِيعِ أَدَبِهِ؛ إِذْ كانَ يُوَقِّرُ وَيَحْتَرِمُ الْكِبـارَ، وَيَرْحَمُ وَيَعْطِفُ عَلَى الصِّغارِ، وَيُجِلُّ الْعُلَماءَ وَيُقَدِّرُهُمْ، كَما يُعِينُ الْفُقَراءَ وَالْمَسـاكِينَ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومِينَ، وَكانَ أَبُوهُ فِي غايَةِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ بِهِ لِأَنَّهُ يَراهُ يَزْدادُ كُلَّ يَوْمٍ خَيْرًا وَصَلاحًا.

قَتْلُ يَحْيَى وَزَكَرِيّا

كَبِرَ زَكَرِيّا عليه السلام، وَأَصْبَحَ طاعِنًا فِي السِّنِّ، وَأَصْبَحَ ابْنُهُ شابًّا يافِعًا عالِمًا نَبِيًّا، يَسْتَشِيرُهُ النّاسُ وَيَسْأَلُونَهُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ إِلَى أَنْ وَقَعَتْ واقِعَةٌ خَطِيرَةٌ، كانَتْ فِيها نِهايَةُ يَحْيَى نِهايَةً مُؤْلِمَةً؛ فَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا عليه السلام، وَسَبَبُ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ

سُئِلَ عَنْ مُشْكِلَةٍ عَوِيصَةٍ لِيُجِيبَ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَهِيَ أَنَّ الْمَلِكَ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مُحَرَّمَةٍ عَلَيْهِ، وَلَا تَحِلُّ لَهُ، لَكِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَحْيَى عليه السلام أَجَابَ بِمَا يُوَافِقُ الشَّرْعَ، وَمَا كَانَ لِيُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِنْ كَانَتْ حَرَامًا قَالَ عَنْهَا: إِنَّهَا حَرَامٌ، وَمَا كَانَ حَلَالًا قَالَ عَنْهُ: إِنَّهُ حَلَالٌ، وَبِمَا أَنَّ مَا سَأَلَ عَنْهُ الْمَلِكُ هُوَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ فَإِنَّ يَحْيَى عليه السلام أَجَابَ بِأَنَّ هَذَا الْعَمَلَ حَرَامٌ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ وَتَصَبَّبَ الْعَرَقُ مِنْ جَبِينِهِ، وَأَرَادَ قَتْلَـــهُ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ إِلَى قَصْرِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَنْتَهِ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَقْتُـــلَ وَالِدَهُ زَكَرِيَّا فَبَعَثَ الْجُنُودَ فِي طَلَبِهِ لِيُحْضِرُوهُ أَمَامَهُ لِيَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلَ بِابْنِهِ.

لَمَّا سَمِعَ زَكَرِيَّا عليه السلام أَنَّ الْمَلِكَ يَبْحَثُ عَنْهُ لِيَقْتُلَهُ كَمَا قَتَلَ ابْنَهُ فَرَّ هَارِبًا مِنْهُ، وَلَكِنَّ الْجُنُودَ ذَهَبُوا مُسْرِعِينَ إِلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ، أَحَسَّ أَنَّهُمْ سَيُدْرِكُونَهُ لِأَنَّهُ كَبِيرُ السِّنِّ وَضَعِيفُ الْبَدَنِ، لَا يَقْوَى أَنْ يَجْرِيَ مِثْلَهُمْ، وَهُمْ جَاءُوا إِلَيْهِ رَاكِبِينَ

الأَحْصِنَةَ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ اخْتَبَأَ بِدَاخِلِهَا حَتَّى لَا يَرَوْهُ، وَلَكِنَّ إِزَارَهُ ظَلَّ خَارِجًا مِنْهَا، وَلَمَّا وَصَلَ الْجُنُودُ إِلَى الْمَكَانِ رَأَوْا إِزَارَ زَكَرِيَّا بَادِيًا، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مُخْتَبِئٌ بِدَاخِلِ الشَّجَرَةِ، أَخَذُوا الْمِنْشَـــارَ وَقَطَّعُوا الشَّجَرَةَ، وَقَطَّعُوا مَعَهَا زَكَرِيَّا عليه السلام، فَقَتَلُوهُ قِتْلَةً شَنِيعَةً رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ.

لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرُكْ دِمَاءَ النَّبِيَّيْنِ الرَّسُولَيْنِ تَذْهَبُ هَبَاءً دُونَ أَنْ يَنْتَقِمَ لَهُمَا، فَمَا مَرَّ إِلَا وَقْتٌ يَسِيرٌ حَتَّى سَلَّطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ سَامَهُمْ وَأَذَاقَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، فَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا وَأُذِلُّوا إِذْلَالًا، فَاللَّهُ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَنْتَقِمُ لِعِبَادِهِ الأَخْيَارِ. فَهَؤُلَاءِ الْقَتَلَةُ نَالُوا الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا نَبِيَّيْنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ.

أَمَّا هُمَـــا فَقَدْ نَالَا الشَّهَادَةَ، وَلَهُمَا مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمَـــا، لِأَنَّهُمَا قَدْ أَدَّيَا مَا أُمِرَا بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ، وَبَلَّغَا الرِّسَالَةَ وَأَمَانَةَ نُصْحِ الأُمَّةِ، فَقُتِلَا شَهِيدَيْنِ عليهما السلام.

أسئلة استيعاب القصة:

1- إلى ماذا يميل ذوو القلوب المتحجرة من اليهود عبر العصور؟

2- للنبي زكريا وظيفتان أساسيتان: دينبة محضة، ودنيوية، فما هما؟

3- لماذا كان زكريا يرى لنفسه الأولوية في كفالة وتربية مريم؟ وهل قبل العبّاد ذلك؟ وما الحل الذي وصلوا إليه في أمرها؟ اختصر الإجابة في بضعة أسطر.

4- لما كبرت مريم ماذا رأى زكريا عندها من أمر غريب؟ وعندما سألها بماذا أجابت؟ وماذا طلب هو من ربه في هذا الظرف؟

5- من بشّر زكريا بالولد الذي دعا ربه من أجله؟ وماذا قيل له؟

6- بماذا وسوس الشيطان لزكريا بعد البشرى؟ وماذا سأل النبيُّ ربَّه؟ وكيف كانت الإجابة؟

7- بماذا رزق الله يحيى من صفات وهو صغير؟

8- قلب زكريا طاهر نقي، بماذا شُبِّه القلب الزكي؟ ومتى يكون كذلك؟ وماذا قال الله تعالى في هذا المعنى؟

9- عندما كبِر يحيى ماذا كان يعلّمه أبوه؟ وماذا يُشترَط في العلم كي يفيد؟ وماذا كان يعمل يحيى مع ابن خالته عيسى؟

10- قتل الملك الجبار يحيى، ما سبب القتل؟ اختصر الجواب في بضعة أسطر.

11- كيف قُتل زكريا بعد قتْل ابنه يحيى؟

12- ماذا كانت عاقبة النبيين الشهيدين؟ وعاقبة بني إسرائيل وملكهم الجبار؟

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يُسْعِدُنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَزِيزِي الْقَارِئ الصَّغِيرَ، هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْمَوْضُوعَةَ بِلُغَةٍ وَ أُسْلُوبٍ يَسْمَحَانِ لَكَ بِإِدْرَاكِ جُمْلَةٍ مِنْ الْمَعَارِفِ عَنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي نَتَوَخَى مِنْهَا أَنْ تُحَقِقَ أَهْدَافَهَا التَّرْبَوِيَةَ، وَ يَسْتَخْلِصَ أَبْنَاؤُنَا وَ بَنَاتُنَا العِبَرَ بِمَا لَحِقَ الأَنْبِيَاءَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَانَاتُهُم مَعَ أَقْوَامِهُمْ وَإِذَايَاتُهُمْ لَهُمْ. وَ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَاجَهُوا أَقْوَامَهُم بِمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالرِّفْقِ وَ اللِّينِ وَ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يُبْلِغُو دِينَ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَتَّخِذَهُمْ الْقَارِئُ نِبْرَاسًا فِي حَيَاتِهِ، وَ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَ قَدْ بَذَلْنَا جُهْداً فِي تَنْقِيحِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الْجَدِيدَةِ، وَ زِدْنَا فِيهَا أَشْيَاءً تُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِعْيَابِ وَ الْفَهْمِ.

صدر في نفس السلسلة

عليهم الصلاة والسلام

الإيداع القانوني : 2007-3565

ISBN :978-9961-25-016-7

9789961250167

المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر و التوزيع
1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net
bibliotheque_verte@yahoo.com

Réf :084